الشيء كما انبأت . وقد توفي المستر غرني سنة ١٨٨٧ وخسر العلم بموته خسارة لا تقدّر لانهُ كان من اشهر الباحثين ولكن المستر ميرس رصيفهُ والمستر بدمور الذي ناب منابهُ لم يثبتا حتّى الآن شيئًا من دعاوي مجمع المباحث النفسيّة بل ان المستر بدمور اعترف علانية ان مباحث هذا المجمع وكل الحوادث التي تفحّصها لا تثبت ان بين الاموات والاحياء اقل علاقة . واعترف المستر ميرس ايضًا ان الاحياء لا يؤثر احدهم بالآخر ما لم يكن بينهم اتصال قريب

وخلاصة ما تقدّم انهُ لم يثبت حتّى الآن ان شيئًا من الخيالات خارجي حقيقي وان الروايات التي تنسب امورًا خارقةً الى هذه الخيالات لم تثبت صحة رواية منها حتّى الآن . وانهُ لم يروَ عن البشر امرٌ ثبت حدوثهُ في زماننا الاّ ويمكن تعليلهُ بنواميس العقل ونواميس الطبيعة المعروفة وهذا لا يوجب نفي الخوارق والكرامات والعجائب كما لا يخفى على البصير

هذا وسيجتمع مؤتمر علماء العلوم النفسية في مدينة لندن في الثاني من اغسطس (آب) سنة ١٨٩٣ برئاسة الاستاذ سدجوك ويكون فيهِ نواب من فرنسا وايطاليا وجرمانيا والدانيمرك وروسيا والولايات المتحدة الاميركية وكثيرون من العلماء الانكليز المشهورين كالدكتور رومانس وغيرهِ وسنطلع حضرات القرّاء على ما يكون من نتيجة بحثهِ في هذه المسائل ونحوها

تنبيه * قد نقلنا الحوادث المذكورة في هذه المقالة عن المجلد السادس عشر والثاني والعشرين والثلاثين من جريدة القرن التاسع عشر وعن المجلد الرابع من جريدة النيو رفيو وعن المجلد الاخير من جريدة الارينا وذلك من مقالات كثيرة لغرني وميرس وإنس وسدجوك وولس وكلهم من الثقات في هذه المباحث

كلام القرود

كان الناس يؤلّهون الحيوان الاعجم ويعبدونهُ ثم ترفّعوا عليهِ من ايام افلاطون الحكيم ووضعوا بينهُ وبينهم حدًّا لا يتعدّاهُ . وزادوا في تحقيرهِ رويدًا رويدًا الى ايام الفيلسوف دكارت الفرنسوي الذي حسبهُ آلة ميكانيكيّة لا غير . ولكنهم عادوا بعد ذلك يرفعون قدرهُ الى ان ادّعى علماء البيولوجيا ان الانسان مرتقٍ من الحيوان الاعجم وان اصول عقلهِ موجودة كلها في عقل الحيوان

وبالامس قام الاستاذ غرنر الاميركي وادّعى ان للقرود لغةً تتكلّم بها وانهُ تعلّم هذه اللغة منها وخاطبها بها وحلّلها بالآلة التي تحلّل كلام الانسان فوجدها مؤلفة من الاصوات التي

يتألف منها النطق عادةً وهاك تفصيل ذلك

قال انهُ قام في نفسهِ منذ عهد طويل ان كل صوت يصوت بهِ الحيوان يفهمهُ كل حيوان آخر من نوعهِ وان الحيوانات تتعلّم معاني بعض الكلمات التي نخاطبها بها وتعمل بموجبها ولكنها لا تحاول تقليدها ولا تجيب الانسان الاَّ بلغتها الخصوصيَّة . وخطر لهُ انهُ اذا امكنهُ ان يقلّد اصوات الحيوانات لم يتعذّر عليهِ فهم معانيها ومعرفة ما اذا كانت كلاماً مقصوداً او اصواتاً لاضابط لها

ومنذ سبع سنوات دخل بستان الحيوانات في ولاية سنسنتي باميركا ورأى فيهِ بعض الفرود في قفص كبير منقسوم الى قسمين بحاجز بينهما وفي الحاجز باب وكان في احد القسمين قرد كبير من النوع المسمّى مندريل فكانت الفرود التي تراهُ من القسم الآخر تراقب حركاتهِ وسكناتهِ ويخبر بعضها بعضاً بما يراهُ منهُ وتأكد الاستاذ غرنر ذلك بما رآهُ من تغيُّر اطوار الفرود التي لا ترى هذا القرد الكبير بحسب تغيُّر اطوارهِ . ثم جعل يراقب الفرود في بساتين الحيوانات في نيويورك وفيلادلفيا وسنسنتي وشيكاغو . وكلما اطال مراقبتها زاد يقينهُ بأن الاصوات التي تصوت بها كلمات لمعانٍ مخصوصة تنطق بها وتفهمها فهي لغة لها وانهُ قد لا يتعذّر عليهِ ان يتعلّم هذه اللغة بالصبر والمزاولة كما لا يتعذّر على الانسان ان يتعلّم لغة قوم آخرين من مجرّد سماعهم . ولكن كان عليهِ ان يتعلّم التلفُّظ بالاصوات التي كان يسمعها وان يحفظها ويستدلّ على معانيها وفي كل ذلك من المشقة ما فيهِ . فواظب على سماع الفرود حيث رآها ونقليد اصواتها زماناً طويلاً

ثم خطر لهُ خاطر جديد وهو ان ينصل قردين احدهما عن الآخر ويقوم بينهما مقام المخبر . فذهب الى مدينة وشنطون وطلب الى حارس الحيوانات ان يسمح لهُ بالفصل بين قردين من القرود التي فيهِ فضحك الحارس منهُ وقال لهُ انكم معاشر العلماء تصدقون كل ما تسمعونهُ وتتوهمونهُ . ولكنهُ اناله بغيتهُ وسمح لهُ ان ينصل بين قردين ذكر وانثى ويجري ما يشاء من التجارب العلمية . فوضع فونوغرافاً[1] امام قفص الانثى وكتب بهِ الاصوات التي صاتت بها ثم نقل الفونوغراف الى امام قفص الذكر وادارهُ فصات باصوات الانثى التي انطبعت فيهِ فاندهش الذكرُ من ذلك وعرف حالاً ان الصوت صادر من قرن الفونوغراف ولمّا لم يرَ انثاهُ عند ذلك القرن جعل يدخل يدهُ فيهِ و يتفحّصهُ ثم جعل ينظر فيهِ نظر من ينتش عن ضائع وكرّر ذلك مراراً وكان يبعد عن الفونوغراف ثم يعود اليهِ و ينتش عن

(١) آلة لرسم الصوت والنطق بهِ ثانيةً

اتاهُ وعلى وجههِ امارات الدهشة والاندهال . ثم ادار الاستاذ غرنر آلة الفونوغراف وطبع فيها الاصوات التي سمعها منهُ وإخذها الى امام الاناث وادارها امامها فأظهرت انها فهمتها وهذه اول مرة كُتبت فيها اصوات القرود

وذهب بعد مدة الى بستان الحيوانات في مدينة شيكاغو وكتب كثيرًا من اصوات قرودهِ بالفونوغراف ومضى الى بستان الحيوان في سنسنتي وكتب ايضًا اصوات قردين من نوع الشمبنزي وعاد الى بيتهِ وجعل يكرر هذه الاصوات بالفونوغراف ويمارس النطق بها الى ان ألفها جيدًا وصار ينطق بها بوضوح . فعاد الى بستان الحيوانات في سنسنتي وشيكاغو وخاطب قرودها بها فرأى انها تفهم صوتهُ جيدًا

وذات يوم اتى ببعض اصدقائهِ ووقف معهم امام قفص قرد من هذه القرود وخاطبهُ بالكلمة التي ظن ان معناها لبن فلما نطق بها نظر القرد اليهِ فاعاد الاستاذ غرنر الكلمة فنطق بها القرد ايضًا والتفت الى اناء في قفصهِ يشرب منهُ فكرر الاستاذ الكلمة ثالثة فاخذ القرد الاناء بيديهِ وادناهُ منهُ وهو يكرّر الكلمة عينها فجاءهُ الحارس بقليل من اللبن وصبهُ في الاناء فشربهُ مسرورًا وهو ينظر الى الاستاذ غرنر ويكرّر تلك الكلمة وكان كلما فرغ الاناء يكرر الكلمة الى ان ثبت للاستاذ غرنر والحضور معهُ ان القرد يدلُّ بهذه الكلمة على اللبن

وكان الاستاذ غرنر قد تعلم كلمة اخرى وحسب ان معناها الاكل فذكرها لاصحابهِ ثم اقترب من القفص واراى القرد موزةً فلما وقع نظرهُ عليها نطق بهذه الكلمة عينها وظهر انهُ ينطق بهذه الكلمة اذا رأى تفاحًا او كرزًا او خبزًا او موزًا دلالةً على انهُ يريد بها الطعام مطلقًا او الاكل بمعناهُ المصدري . ثم نطق امامهُ بكلمة ظن ان معناها الالم او المرض فظهر انهُ يفهمها بمثل ذلك ونطق امامهُ بكلمات أخرى مما تعلمهُ من الفونوغراف فتحقق معنى بعضها ولم يتحقق معنى البعض الآخر

ومضى الى بستان الحيوانات في سنسنتي ودنا من قفص احد القرود وخاطبهُ بالكلمة التي معناها لبن فنهض القرد حالاً ودنا منهُ واعاد الكلمة نفسها ولكنهُ نظر اليهِ نظر المرتاب لانهُ لم يرَ معهُ شيئًا نعاد الى مكانهِ . فكرّر الاستاذ هذه الكلمة فنهض القرد وكرّرها واخذ اناء صغيرًا كان في قفصهِ وادناهُ من الاستاذ وهو يكرّر هذه الكلمة . فسأل الحارس ان يأتيهُ بقليل من اللبن فلم يكن عندهُ لبن فاتاهُ بكأس ماء فجعل القرد يغط اصابعهُ في الماء ويلحسها لان الاستاذ غرنر لم يدعهُ يشرب من الكاس ثم ابعد الكأس عنهُ فجعل يكرر تلك

الكلمة عينها فظهر انهُ يريد بها الماء ايضاً . ثم ظهر من تجارب أُخرى ان القرود تريد بهذه الكلمة اللبن والماء والشرب مطلقاً وربما عنت بها العطش ايضاً

اما الكلمة التي معناها طعام فهي مثل كلمة هُوُو وتلفظ بان يضمّ الانسان شفتيهِ كأنهُ يريد الصفير ويؤخر لسانهُ الى نحو حلقهِ ويتلفّظ بها نحْنًا . ونغمة الصوت مثل نغمة هدير الحمام والكلمة التي معناها شرب او عطش مثل كلمة خِيو بجاء مرخمة جدًّا ونغمتها اعلى من نغمة الكلمة التي معناها طعام

وتعلّم الاستاذ غرنر كلمة اخرى معناها الخوف وامتحنها باحد القرود وكان هذا القرد اليفاً جدًّا وكان يطعمهُ بيدهِ فلما نطق بها ذعر القرد حالاً وهرب الى قمة قفصهِ وهو يرتجف فزعًا وحاول الاستاذ غرنر اغراءهُ بالنزول اليهِ ثانيةً فلم ينزل فابتعد عن القفص مسافة عشرين قدمًا وجاء الحارس الى القفص ونادى القرد فنزل اليهِ وفيما هو يلاعبهُ نطق الاستاذ غرنر بصوت الخوف فذعر القرد حالاً وهرب الى اعلى القفص ولم يعُد ينزل ثانيةً . ومن ثمَّ صار هذا القرد يهرب كلما رأى الاستاذ غرنر ولو لم ينطق بصوت الخوف . وهذا الصوت لا يُكتب ولكن يمكن النطق بهِ بان يضع الانسان شفتيهِ على ظهر يدهِ ويبوسها بوسًا بصوت طويل متموّج ونغمة هذا الصوت عالية جدًّا مثل نغمة اعلى (فا) حادّة على البيانو

واستنتج الاستاذ غرنر من بحثهِ في هذا الموضوع حتّى اواسط الصيف الماضي قضايا كثيرة نذكر منها ما يأتي

اولاً ان في لغة القرود ثمانية اصوات او تسعة يمكن تنويعها بالترخيم والتفخيم حتّى تصير عشرين او ثلاثين صوتًا

ثانيًا ان هذه الاصوات متوسطة بين الصفير واصوات الحروف الصحيحة ويمكن حصرها في اربع سلالم من السلالم الموسيقية وتنطبق كلها على الفا الحادّة في البيانو

ثالثًا ان الصوت الاكثر استعمالاً هو صوت الواو الممدودة ويتلوهُ كثرة صوت الباء الممدودة ايضاً

رابعًا ان الاصوات الصحيحة قليلة في نطق القرود وخفيّة

خامسًا ان لكل طائفة من القرود لغةً خاصة بها تختلف عن لغة غيرها لفظًا ومعنًى

سادسًا ان الكلمات كلها قليلة المخرج وليس فيها علامات للنفي

سابعًا اذا وضع قردان مختلفان في قفص واحد يتعلّم كلٌّ منهما ان يفهم لغة الآخر ولكنهُ لا يتعلم النطق بها فيفهم كلام صاحبهِ ويجيبهُ بلغتهِ الخاصّة

ثامنًا ان القرود تستعمل شفاهها في النطق كالبشر

تاسعًا ان لغاتها مناسبة لاحوالها العقلية والمعاشية

عاشرًا ان ارقى انواع القرود لغةً اكثرها ائتلافًا واجتماعًا

وكتب الاستاذ غرنر في شهر نوفمبر الماضي يقول انهُ وجد لدى استئناف البحث والتحقيق ان الكلمة التي فسّرها طعامًا تحتمل ايضًا معنى اللذة والسرور واللطف . وقال انهُ حاول مصادقة القرد الذي نفرهُ قبلاً بصوت الخوف ولما لم يذعن الى التملق عاملهُ بالقسوة فقابل الجفاء بالجفاء واخيرًا اذعن للعصا وصار كلما اهوى عليهِ ليضربهُ يضع رأسهُ على الارض ويمد لسانهُ ويصوت صوتًا رخيمًا كأنهُ يستغيث بهِ او يسترضيهِ وبقي نافرًا من الاستاذ غرنر لا يقرب منهُ الاَّ كرهًا . ثم رأى قردًا آخر اليفًا وفيما كان يطعمهُ من صحفة حاول القرد اخذ الصحفة بيدهِ فلم يعطهِ اياها بل صفعهُ صفعًا مؤلمًا فوضع القرد رأسهُ على الارض حالاً ومدَّ لسانهُ وصاح مثل الصوت الذي صاتهُ القرد الاول لما ضربهُ فاستنتج من ذلك ان وضع الرأس على الارض ومد اللسان وهذا الصوت هي علامات الخضوع عند القرود

وكان القرد الاول يكرهُ ولدًا زنجيًا لانهُ كان يغضبهُ كثيرًا فكان اذا رآهُ يترك كل شيء ويهجم عليهِ كأنهُ يريد تمزيقهُ فجعل الاستاذ غرنر يتظاهر بضرب هذا الولد ويدنيهِ من القرد لكي يخمشهُ ويمزق ثيابهُ فيسر القرد بذلك ويبتهج حتَّى يكاد يطير فرحًا ثم جعل الاستاذ غرنر يطرد الولد ويتظاهر بضربهِ وايلامهِ فيبتهج القرد بذلك ومن ثم عاد اليفًا كما كان اولاً وصار بحسب الاستاذ غرنر من اعز اصدقائهِ وجعل يدنو منهُ ويلحس يدهُ ويلعب باصابعهِ ولا يدع احدًا يقترب منهُ الاَّ نبَّههُ الى ذلك

وذات يوم كان الاستاذ غرنر يلاعبهُ على عادتهِ فوقف ولد وراءهُ ومدَّ عصًا لكزبها القرد خفية فاندهش من ذلك لانهُ لم يصدق ان الاستاذ غرنر يلكزهُ ثم لكزهُ الولد ثانية وثالثة وفي المرَّة الثالثة رآهُ وراء الاستاذ فعرف انهُ هو الذي لكزهُ بالعصا فوثب عليهِ كأنهُ يريد افتراسهُ وبقي الولد يغضبهُ وهو يهجم عليهِ ويحاول امساكهُ وفيما هو يفعل ذلك امسك يد الاستاذ غرنر خطأً وعضَّها وعرف خطأهُ حالاً فوضع رأسهُ على الارض ومدَّ لسانهُ وجعل يصوت بالصوت المشار اليهِ آنفًا فثبت من ذلك انهُ يريد الخضوع والتذلل والاستغفار

ورأى الاستاذ غرنر قردةً صغيرة شديدة النفار وقال لهُ حارسها انها قلما تألف احدًا وحذَّرهُ منها فكلمها بلغة القرود فدنت منهُ وجعلت تأكل من يدهِ وهي تنظر اليهِ متعجبة

وحينئذٍ اتت فتاة زنجيّة كانت القردة تألفها فعزم الاستاذ غرنر ان يضحي صداقتها على مذبح العلم و يوقع النفرة بينها فجعل الفتاة بينهُ و بين القردة وصاح بصوت المخوف وكرّر الصوت فارتاعت القردة وارتجفت فرائصها وجعل الاستاذ غرنر يتظاهر بضرب الفتاة وابعادها عن القفص فهربت من وجههِ وثبت عند القردة ان الفتاة هي التي خوّفتها فلم تعد تألفها

و بعد مدّة وجيزة مضى الى سنسنتي ورأى القرود التي من نوع الشمبنزي وهي التي رآها في العام الماضي فخاطبها بالكلام الذي تعلمهُ منها قبلاً فرأى انها تفهمهُ وقال ان لها اصواتاً اكثر من اصوات القرود التي تعلّم اصواتها قبلاً (وتلك من الطائفة المسماة كبوشين) وكل اصواتها يمكن الانسان ان ينطق بها انتهى . ولم يزل هذا الاستاذ آخذاً في البحث والتنقيب وسنوافي القراء بما يكون من نتيجة بحثهِ

هذا واذا تمكّن الاستاذ غرنر من اثبات النطق للحيوان الاعجم فلا يكون قد ازال الفاصل الحقيقي بين الانسان والحيوان وهو الفصل بالنفس الخالدة فان الحيوان الاعجم يشارك الانسان في مزايا كثيرة اسمى من النطق فيستدل استدلالاً يقرب من استدلال الانسان ان لم يكن مثلهُ تماماً فانما ضربتهُ بعصاً فآلمتهُ صار يهرب منك كلما اهويت عليهِ بها او بعصاً اخرى غيرها . ويتعلّم بالاختبار و يورث اختبارهُ لنسلهِ فقد ثبت ان الطيور الساكنة في جزائر مقفرة لم تكن تخاف من الناس اول ما دخلوها بل كانت تقع على بنادقهم كما تقع على اغصان الاشجار فلما اكثروا من صيدها بها صارت تخافهم وتهرب منهم والثعالب التي لا تخاف من الفخاخ اول ما توضع لها لا يمضي عليها زمان طويل حتّى تصير تجتنبها هي واجراؤها . والحيوان يتآلف و يتعاون و يحارب بعضهُ بعضاً و يستعبد بعضهُ بعضاً و يبني المنازل و يشيد الجدران و يخيط البيوت و يحفر الاسراب و يصنع لها ابواباً ومزاليج . و يحب و يبغض و ينتقم و يعاقب و يثيب و يحرص و يدخر للغد و يقيم التوادّ والتقاضاة الى غير ذلك من الاخلاق العقلية والادبية والاجتماعية وكل ذلك بسطناهُ في فصول مستفيضة في الكلام على النحل والنمل والغرائز والتعاون . وفي الاشارة الى طبائع النمل غنًى عن التفصيل . فاذا انكرنا النطق على الحيوان لا نكون انكرنا عليهِ صفةً اسمى من هذه الصفات واذا اثبتناهُ لهُ لا نكوّن قرّبناهُ من نوع الانسان بل يبقى الفصل بين الانسان والعجماوات بالنفس الخالدة صفةً مميزة لنوع الانسان وانما نكون قد ازلنا فاصلاً وضعهُ الفلاسفة والمناطقة لنقص في استقرائهم ومع ذلك لا يسعنا الاَّ الاعجاب بهمّة هذا الرجل وتدقيقهِ في مباحثهِ